الوان البحار

اذا فحصنا مآء البحر وجدنا انهُ ليس بادنى نقآءً وشفوفاً من المآء النابع من الصخر فقد ذُكر انهُ في بعض نواحي بحر الشمال تُرَى الاصداف واضحة على عمق ١٤٥ متراً وفي بحر الانتيل يُرَى دَرَك البحر على هذه المسافة نفسها كانهُ على بعد بضعة امتار فتُرَى هناك الاصداف ومنابت المرجان واصناف الطحالب البحرية جامعةً لأبهى ألوان قوس قُزَح . ولكن اذا تجاوزت المسافة المقدار المذكور فان اشعة الشمس تضعف شيئاً فشيئاً فيقلّ وضوح المنظورات حتى اذا بلغ العمق ٤٠٠ او ٥٠٠ متر كانت هناك ظلمة داجية . اما نور القمر فلا يتعدى الى ما وراء ١٣ متراً في المآء

ثم ان مآء الاوقيانوس اذا نُظِر اليهِ في مكانٍ عميق فلونهُ ازرق سماويّ وهذا اللون ناشئٌ عن كونهِ يمتصّ جميع الوان الطيف ما خلا اللون الازرق فانهُ يدفعهُ فيُرَى ملوَّناً بهِ . على ان هذا اللون غير مطَّرد في جميع البحار على حدّ واحد فان البحر حوالي جزائر الملديف اسود وفي خليج غينيا ابيض وبين الصين واليابان اصفر وفي خليج كاليفُرنيا يضرب الى الحمرة وكذلك في بعض نواحي بحر القُلزُم وهو السبب في تسميتهِ بالبحر الاحمر . وعند جزائر السعادة وجزائر ارسور يضرب الى الخضرة وكذلك في بعض نواحي الخليج الفارسي فانهُ على طول شواطئ بلاد العرب يُرَى منهُ طريقةٌ خضرآء بحيث ان الراكب فيهِ يرى المآء

الذي الى شمالهِ ازرق والذي الى يمينهِ اخضر . وفي الاوقيانوس الشمالي قد يُنتقَل فجأةً من المآء الازرق السماوي الى مآءٍ اخضر زيتوني . قيل والسبب في حمرة مآء البحر الاحمر وجود طحالب دقيقة ارجوانية اللون تكثر في بعض الاحيان كثرةً عجيبة فيظهر المآء ملوّناً بها وبخلاف ذلك خليج كاليفرنيا فان حمرتهُ مسبّبة عن نُقاعيات مجهرية حمرآء اللون وكذا يقال في خضرة مياه البحر الشمالي . اما ما يُرَى من السواد في مياه البحر الاسود فلكُدرة جوّهِ بما يحدث فيهِ من العواصف والزوابع لا لشيءٍ في مآئهِ

على أن النقاعيات المذكورة فضلاً عن انها تلوّن مآء البحر احياناً فقد تكسوهُ حلّةً من النور وهو ما يسمّى بالتألّق وقد طالما كان ذلك في الزمن القديم موضعاً لحيرة المسافرين وربما اشعرهم لاول وهلة خوف الحريق . وهو يُرَى في جميع العروض الا ان اكثر ما يُشاهَد في الاقاليم الحارّة كالهند وشواطئ مالابار والملديف وسائر الجُزُر المجاورة فانهُ يظهر فيها هذا المشهد بكل جماله ويتجدد في كل مسآء ولا سيما في اوقات السكينة حين يكون وجه البحر مكسوّاً بالتجعدات او الامواج الخفيفة . وقد وصف بعض السيّاح هذا المنظر فقال انهُ لا يكاد يغيب ضوء النهار حتى تبتدئ انوار التألق بالظهور فتُرَى ألوف الألوف من الاجسام النورانية كانها تدور وتتصادم على وجه المياه وهي في حركة دائمة بين ظهور وخفآء . ويزداد النور شدة على جوانب السفن والصخور التي تتنفس عليها الامواج وكل ضربة مجذافٍ او حركة دولاب ينبثق عنها شهابٌ من النور وكل سفينةٍ ماخرة يتبعها خطٌّ طويلٌ نيّر يضعف كلما ابتعدت عنهُ الى ان

يضمحلّ . وعلى الجملة فكل حركةٍ في المآء طبيعيةٍ او غيرها يتبعها تألق ولكن البحر يتألق احياناً من تلقآء نفسهِ من غير حركة فيُرَى هناك بساطٌ من نور قد امتدّ على ثَبَج المآء فينقبض احياناً وينبسط ويقصر ويستطيل ويتشكل بكل شكل

وقد خبط الأوّلون خبطاً عجيباً في تعليل هذا الحادث فارتأى بعضهم انهُ مسببٌ عن كهربآئية في البحر وزعم آخرون انهُ مسببٌ عما يخالط مآءهُ من الاملاح وقيل انهُ ناشئٌ عن موادّ معدنية ومركّبات عضوية من الحيوان او النبات يحدث هذا التألق عند انحلالها . وذكر احد ثقات العلمآء ان بعض اللحوم من طبيعتها ان تضيء في الظلمة وان مثل ذلك رُؤي في بعض المبرزات الحيوانية اذا سبقها اتخاذ الفصفور وفي بول المصابين ببعض انواع الامراض ومفرزات بعض الجراح وكذلك في السمك وعلى الخصوص البحريّ منهُ في اوائل انحلالهِ . قال وليس من الناس الا من رأى في ليالي الصيف بين الاعشاب والغياض نُقَطاً منيرة هي منبعثة عن حيوان صغير يُعرَف بالحُباحِب . على ان في البلاد الحارّة الوفا من الهوامّ المضيئة حتى ان من الفقرآء في جزيرة كوبا من يستصبح بهذه الهوام فيتخذون قرعة فارغة يثقبونها عدة ثقوب ويجعلون فيها بضعاً من هذه الهوام فتكون لهم مصباحاً لا يَطفأ

وعليهِ فلا يُستبعَد ان يكون في البحر شيءٌ من امثال هذا الهوامّ فاذا صعدت الى ثَبَج المآء ظهر لها هذا الضوء . على ان جِيَف الاسماك الميتة وما يتخلل بنآءها من الفصفور المنتشر في مآء البحر تكون ولا ريب من

جملة الاسباب في ذلك وقد اختبر كلا الامرين جماعةٌ من ركاب البحر في اوقاتٍ مختلفة فثبت لهم كلٌّ من القولين . اه

القصيدة الطنطرانية

ننشر هذه القصيدة اجابةً لمن سألنا ذلك من مشتركينا الادباء على ما تقدمت الاشارة اليهِ لا لان فيها ما يستحقّ النشر اذ هي من ضعيف الشعر لغةً ومعنى • وهي من نظم معين الدين ابي نصر او ابي البركات احمد بن عبد الرزاق الطنطراني المتوفى سنة ٤٨٥ للهجرة مدح بها الوزير نظام المُلك ابا علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي . وقد اجتهدنا في تصحيح روايتها بعد ان جمعنا لها ثلاث نسخ قديمة اثنتان منها مشروحتان وقد اتفقت النسخ الثلاث على روايةٍ واحدة الا في مواضع قليلة اخذنا منها بالامثل • والقصيدة هي هذه

يا خليَّ البـال قـد بلبلتْ بالبلبال بال
بالنـوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال
يا رشيق القدّ قد قوّستَ قدّي فاستقمْ
في الهوى وافرغ فقلبي شاغلُ الاشغال غال
يا أَسيل الخدّ خدَّ الدمع خدّي في النوى
عبرتي ودقٌ وعيني منك يا ذا الخـال خال
كم تُسقِّي زُمرةَ العشّاق غسّاق الجَوَى
كم تسوق الحتف من ساقٍ عن الخلخال خال
ان قلبي في خُمارٍ هـاج من سكر الهوى
فاسقني من فيك خمراً فيهِ كالسلسال سال